الثورة
الجمعة 25 ذو القعدة 1433هـ 12 أكتوبر 2012م العدد (17495)

التغيير المنشود

ـ كان المسلمون في خير حال بالقرآن الكريم وبسنَّة محمَّد سيد المرسلين إذ كانوا يتَّخذون منهما دستوراً ومنهجاً ينتصحون بنصائحهما ويأتمرون بأوامرهما فسادوا العالم ونشروا مبادئهم الطيبة في مختلف ربوعه وأرجائه وآفاقه ورأينا راية الإسلام ترفرف على بقاع الأرض قاطبة ، فما الذي غيَّر حالنا ؟!!

ـ لأنَّ المسلمين وُلِّيَ حكمهم ملوك وزعماء ورؤساء مستبدون ضعفاء ومجرمون عملاء ، وكلوا أمورهم إلى غيرهم وأهملوا في حق أنفسهم وشعوبهم وكان الناس على دين ملوكهم فأساءوا تصريف حياتهم وأجرموا في حق أنفسهم وفي حق غيرهم ووقعوا في الكذب والفجور والبهتان والغدر والخيانة والنفاق وضياع الأمانة ونقض العهد ، فإذا ذكرتهم بالحق لا يذكرون وإذا وجِّهتهم إلى الخير لا يتوجَّهون ، حتى عمَّ البلاء وزاد الشقاء وفسدت الأمور وأصابنا الوهن وتداعت علينا الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

شهاب الدين المحمدي *

ـ وإذا تأملنا حال الأمة الإسلامية اليوم وجدنا أنه ليس العالم الخارجي والغربي هو الذي يعتدي علينا فحسب ، بل إنَّ هذه الأمة يأكل بعضها بعضاً ويتآمر بعضها على بعض ، ولننظر إلى واقعنا في بلدنا ووطننا ويمننا وما نمرُّ به من فتن كبرى وبلايا عظيمة وصلنا إلى حالَّة أن يقتل بعضنا بعضاً ، اختلفنا وتمزقنا وتفرقنا مذاهب وشيعاً وأحزابا (فتنٌ كقطع الليل المظلم تدع الحليم حيرانا) فأين نحن من قوله عليه الصلاة والسلام :(الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان) وعندما يقع بأس الأمة بينها فهيهات هيهات أن تفلح في جلب منفعة أو دفع مضرة.

ـ يقول الشيخ الجليل القدير / محمد الغزالي رحمه الله : إن الأبصار الكليلة لا تدرك الأوضاع التي تفرض التبعية وتجعل أمة وراء أمة ، ويداً تحت يد...! وإن الأبصار الكليلة لا تدرك الدعائم التي تقوم بها الرسالات وتستقر بها السياسات ، ولا تعرف قيمة الاستبحار الثقافي أو الازدهار الحضاري والصناعي في نصرة الحق وإعزاز أهله وفرض أخلاقه وأهدافه..!

وإذا تأملنا حالة الطوارئ لاستدراك ما فاتنا فما هو التغيير الذي نُحدثه حتى يتغيَّر ما بنا ؟ مصداق قوله تعالى : « إنَّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم « الرعد آية ١١

وختاماً / فلنقتبس من نورٍ محمد صلى اللهٍ عليه وآله وصحبه وسلم ، ولنلتمس من كتاب الله عزَّ وجل ما به تتحقق نهضتنا ورفعتنا وكرامتنا وعزتنا قال عليه الصلاة والسلام : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا.. كتاب الله وسنتي).

للتأمل :

نعيبُ زَماننَا والعيبُ فينا
وما لزمانِنا عيبٌ سِوانا

● خطيب مسجد الإحسان بمديرية شعوب بأمانة العاصمة
Shab15@ymail.com

حجاج بيت الله

هائل سعيد الصرمي

حنت لروض محمد صلواتي
واستبشرت بلقائه نبضاتي
وسرت بي الأشواق قبل مسيرتي
فغدوت والأشواق في عرفات
حجاج بيت الله من أوزارهم
غسلوا القلوب بأنهر العبرات
نادوا إلهاً واحداً وجميعهم
حطوا الرحال بساحة البركات
عرفات يحضنهم على عرصاته
وعلى المحيا بسمة الوجنات
صلى وسلم للملايين التي
لبت، وصلت سائر الفلواتِ
يوم مهيب باركته يد السماء
وتجلت الأنوار في العرصات
عرفات يغشاه الجلال لأنه
حضن الوفود ومورد الرحمات
لله ما أحلى الوقوف بساحه
والقلب يشرق من ضيا النفحات
وترى الدموع على الخدود كأنها
سيل تفجر من لظى الزفرات
تضفي على العبد المؤمل راحة
ليذوق صفو حلاوة العبرات
تتزاحم الرحمات بين ضلوعه
وتفيض بالخطرات والآيات
رغم الحشود فكل قلب ناظر
لله مجموع بغير شتات
متبتلاً متوجهاً لله منـ
ـكسراً يروم المحو للسوءات
فيعيش معنى القرب في لحظاته
لله ما أحلاك من لحظات
وإذا أفاض الناس بعد وقوفهم
نزلوا (بمزدلف) على الساحات
ناموا على فرش الحصى فكأنها
من سندس الفردوس والجنات
وتوجهوا بعد المبيت إلى منى
زمراً على الأقدام والصهوات
نثروا دموع الشوق في محرابها
رفعوا الأكف بأطيب الدعوات
ذبحوا أطايب هديهم وتحللوا
من بعد رمي كبيرة الجمرات
لله ما أحلى لياليها منى
وودت فيها لو أعيش حياتي
سأكون كالأملاك فوق ربوعها
وأذوق طعم الأنس في سجداتي
قلبي هناك معلق بربوعها
يا ليت حول ربوعها سنواتي
طافوا الإفاضة والوداع وغادروا
البيت الحرام بموكب الحسنات
ليعود عبد الله بعد وقوفه
كالطفل مولوداً بلا زلات
حسناته قد أثقلت ميزانه
وعلت به في أرفع الدرجات
ملأت ببهجتها سماء فؤاده
فإذا به متوثب العزمات
في همة موصولة بالله
لا يلوي على الأوزار والشهوات
ما عاد مثل الأمس ليس يهمه
سير الليالي وانقضا اللحظات
بل همه الأيام يعمرها التقى
والذكر عبر دقائق الأوقات
يا رب بلغنا بفضلك دائماً
برد الوقوف بساحة الرحمات

رحلات الحج أثناء الحكم العثماني الثاني لليمن 1264 - 1337هـ

د/ فؤاد عبد الوهاب الشامي

رحلة الحج تتمتع بمكانة كبيرة في نفوس كافة المسلمين ومنهم أهل اليمن سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الدولة ،ومنذ فجر الإسلام كانت السلطات الحاكمة التي تعاقبت على حكم اليمن تحشد كافة الإمكانيات التي تحتاج إليها رحلة الحج باعتبارها احد أركان الإسلام.

وكانت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد تؤثر في رحلات الحج التي تخرج من اليمن ،ولكن كانت هذه الظروف تتحسن في أوقات وتسوء في أوقات أخرى، وقبل مجي العثمانيين إلي اليمن للمرة الثانية عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م كان اهتمام السلطة الرسمية بهذه الرحلة قد تراجع نتيجة الأوضاع السياسية السيئة التي كانت تعيشها البلاد ،وبعد مجي العثمانيين تحسنت ظروف رحلات الحج وأصبحت أكثر تنظيما .

وفي هذا البحث سوف يتم التطرق إلى رحلات الحج التي كانت تخرج من المناطق الخاضعة لحكم الأئمة ومن المناطق التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية في الساحل وتهامة خلال المرحلة الأولى من الحكم العثماني الثاني لليمن ١٢٦٤. ١٢٨٩هـ/١٨٤٨-١٨٧١م وذلك لتوضيح الظروف التي كانت تواكب هذه الرحلات .

وأما في المرحلة الثانية من هذا الحكم والذي سيطر خلالها العثمانيين على معظم أنحاء اليمن في الفترة ١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧١-١٩١٨م فسوف يتم التطرق إلى الرحلة الرسمية التي كانت تخرج من صنعاء عاصمة الولاية ورحلات العلماء والرحلات ذات الطابع ألمناطقي والأسري ، ثم الرحلات التي تخرج من المناطق التي كانت تخضع لنفوذ الأئمة في شمال اليمن ،وبعد ذلك سوف نتناول الصعوبات التي كانت تواجه الحجاج أثناء تلك الرحلات ، وفي الأخير سيتم الإشارة إلى الفوائد الأخرى التي يحصل عليها الحجاج خلال وجودهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وقد تم استخدام منهج البحث التاريخي في التحليل والتدقيق بهدف الوصول إلى الحقيقة من خلال استقراء المعلومات التي قدمتها المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع بصورة مباشرة آو غير مباشرة ،وذلك لمعرفة أوضاع رحلات الحج خلال فترة الحكم العثماني لليمن ،ومن أهم الصعوبات التي واجهت الباحث هي ندرة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الحج في اليمن خلال هذه الفترة.

حكم العثمانيون اليمن فترتين زمنيتين متباعدتين امتدت الأولى بين (٩٤٥ – ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨ – ١٦٣٦م) وكانت الثانية والتي هي موضوع الدراسة بين عامي (١٢٦٤ – ١٣٣٧هـ / ١٨٤٨م – ١٩١٨م) . وخلال الفترة الثانية مر الحكم العثماني لليمن بمرحلتين الأولى أقتصر هذا الحكم خلالها على مناطق تهامة والمناطق الساحلية وفي المرحلة الثانية خضعت المناطق الجبلية للإدارة العثمانية .

وخلال المرحلة الأولى من الحكم العثماني الثاني كانت تخرج من اليمن رحلتان للحج الأولى من صنعاء عاصمة دولة الأئمة وينظم إليها حجاج المناطق الجبلية والرحلة الأخرى تتحرك من المناطق الساحلية وتهامة الخاضعة للحكم العثماني نظراً لوجود سلطتين مختلفتين، كما كانت تخرج من المنطقتين رحلات منفردة بصحبة عدد من العلماء ينظم إليها عدد من المريدين وطلاب العلم والعامة .

وخلال المرحلة الثانية من هذا الحكم صارت تخرج من اليمن رحلة رسمية واحدة يشرف عليها أمير يكلفه بتلك المهمة الوالي العثماني على اليمن وأما المناطق التي كانت تخضع لنفوذ الأئمة فلم تكن تخرج منها رحلة حج رسمية وإنما كان العامة ينظمون إلى الرحلة الرسمية التي تخرج من عاصمة الولاية أو ينظمون إلى رحلات العلماء المنفردة، وأما الموالين للائمة من العلماء والأعيان والمشايخ فكانوا يذهبون عن طريق البر مباشرة إلى مكة في رحلات فردية ومحدودة حتى لا يتم لفت الأنظار إليهم، كما استمرت خلال هذه المرحلة رحلات العلماء التي ينظم إليها مجموعات من الحجاج من مناطق مختلفة .

رحلة الحج في المرحلة الأولى من الحكم العثماني لليمن :

قبل وصول العثمانيين إلى اليمن كان الإمام القائم يكلف احد العلماء أو احد المسئولين بإمارة الحج ويصاحبه بعض الحجاج والبعض الآخر وهو الأغلب غير ملزم بذلك وكان هذا الأمير هو المرجع لجميع الحجاج اليمنيين والدليل في السكون وفي الحركة إثناء أداء شعائر الحج باعتباره ممثل الإمام، وكان حجاج اليمن خلال تلك الفترة يسلكون ثلاث طرق رسمية إلى تلك الأماكن الأولى وهي الطريق البرية التي تمر بمدينة صعدة ثم نجران وصولاً إلى مكة وكانت هذه الطريق غير آمنة نظراً لقيام بعض القبائل بمضايقة الحجاج وخاصة عندما تكون السلطة في صنعاء ضعيفة أو عندما تدخل هذه السلطة في حروب مع القبائل التي تمر طريق الحج بأراضيها ولذلك كان الحجاج يتحاشون المرور بتلك المناطق ماعدا حجاج المناطق الشمالية من اليمن مثل صعدة والجوف وغيرها ،وكان يطلق على الحجاج الذين يسلكون هذا الطريق (حجاج الحجاز). وأما الطريق الثاني فكان يمر محاذياً للبحر حيث كان بعض الحجاج يستقلون السفن إلى ميناء القنفذة وبعد ذلك يسلكون طريق البر إلى جدة وكان الحجاج الذين يستخدمون هذا الطريق يجتازون ثلاث مراحل الأولى من صنعاء إلى الحديدة عن طريق البر والثانية من الحديدة إلى القنفذة عن طريق البحر والأخيرة من القنفذة إلى جدة عن طريق البر وكثير من الحجاج كانوا يسلكون هذا الطريق باعتباره أمنا وقد يكون السبب أيضا بان كثير من أهل الجبال لا يحبون ركوب البحر لخوفهم منه وعدم قدرتهم على التأقلم مع الظروف التي تواكب السفر في البحر، ويطلق على الحجاج الذين يسلكون هذا الطريق(حجاج الساحل) ، وأما الطريق الثالثة فهي الطريق البحري حيث يتجمع الحجاج الراغبين في السفر عن طريق البحر في ميناء الحديدة ثم يستقلون السفن حتى ميناء جدة ومعظم الحجاج الذين يسلكون هذا الطريق هم من أهل المناطق القريبة من الساحل وقليل جداً من سكان المناطق الجبلية لأن معظم سكان هذه المناطق يستخدمون الطريق الثاني كما سبق ذكره، ويطلق على هؤلاء الحجاج (حجاج البحر)

وبالنسبة لخروج رحلة رسمية من المناطق العثمانية فأن المصادر التي بين أيدينا لم تؤكد خروج أو عدم خروج تلك الرحلة ، ولكني أرجح احتمال عدم وجودها نظراً لان متصرفية اليمن (كما كان يطلق عليها في تلك الفترة) كانت تتبع ولاية الحجاز ،ولم يتم فك الارتباط بين المنطقتين إلا بعد دخول احمد مختار باشا مدينة صنعاء وإعلان اليمن ولاية مستقلة عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧١م ، ومما شعر به أهل اليمن أثناء تلك الفترة تحسن معاملة الموظفين العثمانيين للحجاج اليمنيين في جدة ، وذلك نتيجة خضوع اليمن للحكم العثماني مثلها مثل معظم المناطق العربية بما في ذلك ولاية الحجاز التي تشرف على متصرفية اليمن وأصبح أهلها يعتبرون مواطنين عثمانيين.

رحلات الحج في المرحلة الثانية من الحكم العثماني الثاني لليمن:

بعد أن نجح المشير احمد مختار باشا في دخول مدينة صنعاء عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧١م تم إعلان اليمن ولاية مستقلة مكونه من أربع ألوية إدارية وعاصمتها صنعاء ،واستمر الحكم العثماني فيها إلى عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م عندما خرج العثمانيون من اليمن بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى، وخلال هذه الفترة كانت رحلة الحج تحضا باهتمام كبير من قبل الإدارة العثمانية وذلك

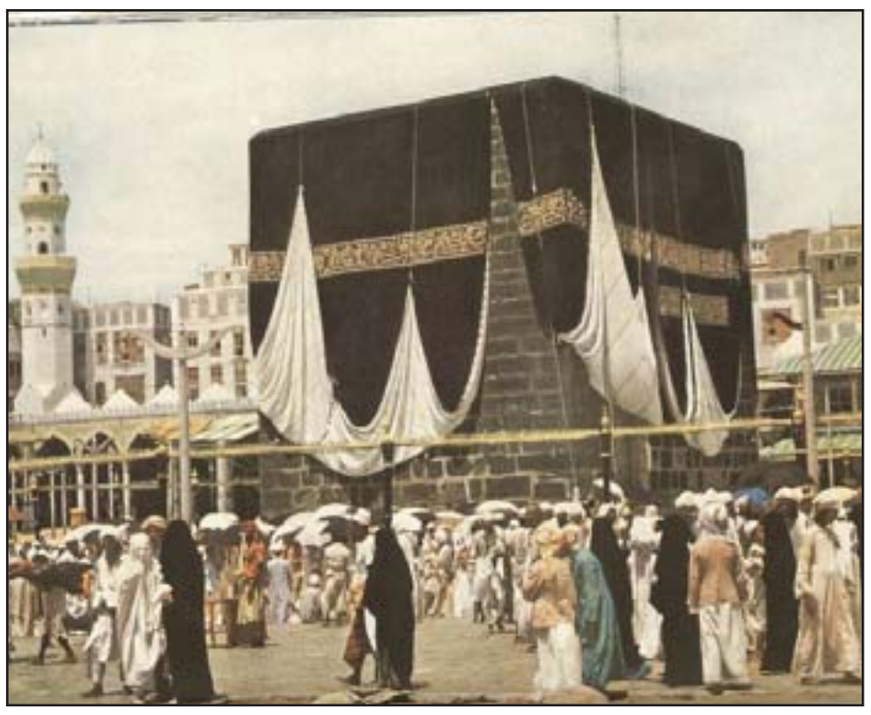

في إطار اهتمام الدولة العثمانية بكافة رحلات الحج التي تخرج من الولايات التابعة لها .

الرحلة الرسمية:

عملت الإدارة العثمانية في ولاية اليمن على تنظيم رحلة رسمية للحج تخرج من الولاية برئاسة أمير الحج الذي قد يكون مسئول عثماني رفيع او احد العلماء المعتبرين غالبا، وذلك مثل ما هو جاري في بقية الولايات العثمانية ، وممن تولى إمارة الحج في تلك الفترة العلامة محمد غمضان وكانت تخرج الرحلة الرسمية عادة في الثلث الأخير من شهر شوال وتعود في النصف الأول من شهر محرم، ويجرى للحجاج وداع رسمي تنصب له الخيام خارج مدينة صنعاء ويخرج الوالي وكبار المسئولين في الولاية ورئيس العلماء ومجموعة من العلماء والأعيان وأفراد من العامة لتوديع الحجاج وكان يخطب في الناس رئيس العلماء وأمير الحج يتم فيها الدعاء للسلطان وللوالي وللحجاج والزوار ، وينطلق بعد ذلك موكب الحجاج باتجاه الأماكن المقدسة .

إن اهتمام الإدارة العثمانية بتحديد مراحل السفر التي يمر بها الحجاج باليوم والساعة يعكس اهتمامها بهذه الرحلة ، وقد حضت رحلات الحج من مختلف الولايات العثمانية باهتمام الدولة التي كانت تسخر كل الإمكانيات المتاحة لتوفير الظروف المناسبة لتلك الرحلة بما في ذلك الأمن ، ونتيجة لذلك كانت الإدارة العثمانية في ولاية اليمن تبذل جهودها لتوفير الأمن للحجاج خاصة الذين يسلكون طريق البر ، ولكن لم تنجح تلك الجهود في تامين الحجاج من التعرض لمشاكل مختلفة من بعض القبائل التي كانت على خلاف مع العثمانيين أو من بعض الخارجين على القانون ، ومع ذلك فقد كانت رحلة الحج الرسمية أكثر أمناً للحجاج مقارنة مع الرحلات الفردية أو رحلات العلماء خاصة في الأوقات التي تكون فيها الظروف غير مناسبة من الناحية الأمنية أو السياسية، وخلال هذه الفترة أصبحت رحلة الحج اليمنية تحضا بمعاملة حسنة واحترام كبير من قبل المسئولين العثمانيين في جدة ومن الأشراف في مكة لأنها أصبحت رحلة رسمية تمثل ولاية عثمانية يتولى إمارتها احد المسئولين التابعين للإدارة العثمانية .

رحلات العلماء :

نظراً لان العلماء يتمتعون بتقدير واحترام كبير بين الناس فقد كان الكثير منهم يحرصون على صحبتهم أثناء رحلات الحج، وخلال هذه الفترة دون عدد من العلماء رحلاتهم ،وقد وصلت إلينا عدد من تلك الرحلات التي قام بها علماء كبار منهم العلامة عبد الملك بن حسين الآنسي الذي قام برحلته عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م والعلامة عبد الرزاق الرقيحي وكانت رحلته عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م والعلامة قاسم بن حسين ابوطالب وقام برحلته عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م والعلامة عبد الكريم الطير حيث قام برحلته عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م وغيرهم .

وكان كثير من الحجاج يحرصون على الالتحاق برحلات العلماء للحصول على فوائد عديدة منها الاستفادة من علم هؤلاء ومعرفتهم بعلوم الدين وكذلك الاستعانة بهم للإحاطة بمناسك الحج وأحكامه ،ولاعتقاد كثير من الناس بأن البركة تحل أينما حل العلماء وفضلهم يصيب من صحبهم ، بالإضافة إلى أن العلماء محط احترام وتقدير كل من يمرون به في طريقهم ، ولديهم أصدقاء كثر في معظم الأماكن التي يمرون بها يقدمون لهم التسهيلات التي تخفف عنهم عناء الرحلة، ولكن كان للقدر دوراً في مجريات تلك الرحلات فقد كان بعضها سهلاً وميسراً مثل رحلة العلامة عبد الملك الآنسي والعلامة عبد الكريم الطير وبعضها صعباً للغاية مثل رحلة العلامة عبد الرزاق الرقيحي ،وأيضاً كان للظروف السياسية والطبيعية والأمنية والصحية تأثير مباشر على رحلات الحج القادمة من كافة أنحاء العالم الإسلامي مهما كان نوعها سواء كانت رحلات رسمية أو رحلات خاصة ، كما كان العلماء أيضاً يحرصون على انتقاء رفقه السفر حيث ذكر العلامة عبد الملك الآنسي في رحلته المسماة ((الإنعام التام في الرحلة إلى بيت الله الحرام)) (انه لما أزمعت على هذا الباب وتحررت النية بلا ارتياب فبينما يدور في ذهني في انتخاب الرفيق الذي تحصل به الموافقة إذ قيل(ان) الحاج عبيد بن طاهر القرضي لما سمع اشتاق إلى المرافقة فناجاني قلبي هذا الذي أردت وعلى الخبير سقطت) وقد تجمع حوله عدد من الرفقاء حتى وصل عددهم أثناء مغادرة الحديدة إلى اثني عشر شخص، وقد سرد العلامة عبدالملك الآنسي مجريات رحلته ووضح صعوباتها وما قابله من تسهيلات حيث سهل الله له معظم مراحل هذه الرحلة، ومنها على وجه الخصوص السفينة التي أقلته إلى جدة، فقد تصادف وصوله إلى الحديدة مع وصول سفينة نمساوية كبيرة أقلتهم إلى جدة مخففة عنهم عناء ركوب البحر ومواجهة أمواجه ،وفي العودة ركبوا مركب فرنسي أوصلهم إلى الحديدة مباشرة دون تأخير، كما دون العلامة عبد الملك الانسي مجريات رحلته شعرا ، وأما الرحلة التي قام بها العلامة عبدالرزاق الرقيحي عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م فقد واجهتها صعوبات عديدة حتى أن بعض الحجاج في ذلك العام عادوا بدون أداء الفريضة وبعضهم انتظر إلى العام الذي يليه في مكة لصعوبة الذهاب والإياب .

وأما العلامة عبدالكريم الطير الذي كانت رحلته عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م فقد وصفها شعراً في الأبيات التالية:

أحبة قلبي هل أتاكم بأنني
نزلت على المختار والضيف مكرم
وسافرت في بر وبحر وذلكم
بفضل الهي وهو رب ومنعم
وأخبركم يا أهل ودي رعاكم
بمرعاه ربي فهو مني أرحم
بأن جميع السفر عندي لهين
وفيه لنا أمن وعون معظم
وستة أيام قطعنا مراحلاً
إلى طيبة المختار صلوا وسلموا
وتاسع شهر الله أعني محرماً
أتينا وزوال الهم والحمد دائم
وما كان أحلى لو رأيتم محبكم
وقوفاً أصب الدمع إذ كنت أقدم
محبة خير الخلق مني خالطت
عظامي ولحمي فأسمحوني وسلموا
وصرت بحمد الله في الصبح والمسا
على سوحه أغدو عليه أسلم
ولا تسألوا عن صحتي وتيقنوا
بأني وكل الصحب بالخير مكرم
وإن تسألوا كيف الدعا من جنابنا
فلم انس فرداً من دعائي منكم
وأدعو لكم في كل وقت وما أنا
بفضل الهي للإجابة أحرم
ومن عجب في درب طيبة انه
على طوله في السرور متمم
نعم يا أخي يا قرة العين أنني
على كل أحياني بذكرك مغرم
ولم أنس أمي والكرائم ساعة
كذلك أصحابي فلا تتوهموا
ولولاكم كان البقاء بطيبة
لحبي إذ فيها النبي المكرم

رحلات أهل المناطق :

إضافة إلى الرحلة الرسمية ورحلات العلماء ظهرت رحلات أخرى كان يقوم بها أهل المناطق المختلفة ، فقد كان حجاج منطقة محدده يجتمعون ويذهبون للحج على شكل جماعات ، فمثلاً كان يجتمع أهل آنس وأهل حراز وأهل الحيمة وأهل إب ويكونون جماعة منفصلة عن الأخرى ويغادرون منطقتهم تحت اسم حجاج أهل حراز مثلاً أو يمكن أن يتجمع أهل عدة مناطق ويكونون جماعة واحدة ولكن يجب أن تكون تلك المناطق متقاربة

علماء ودعاة: الإسلام دعا إلى التكافل الاجتماعي وجعله من مرتكزات الشخصية

تحقيق / نورالدين القعاري

لا يختلف اثنان على أن العمل الطوعي في الإسلام له ركائز أساسية يستمد منها الوطن في تقوية علاقة الفرد المسلم بأخيه المسلم أو علاقة المسلم ببيئته وقد قال الله تعالى « ومن تطوع خيراً فهو خير له» وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « خير الناس أنفعهم للناس « .

لذا يعتبر العمل الطوعي مسانداً ومطبقاً للحياة الإسلامية وأصبح جزءاً لا يتجزأ منها فكل أشكال العون والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد تدخل بشكل أو بآخر في العمل التطوعي وهنا تبرز عظمة الإسلام الذي استطاع ان يجعل الشعور بالآخر وبالمكان في صميم الشخصية المسلمة.

إلا أن هناك من يفهم التطوع على أنه تقليد للغرب دون أن يعي الأهداف والبرامج في تنفيذ ومناقشة هذه المبادرات الطوعية التي تساهم في حل ومساعدة المشاركين الذين يبذلون كافة طاقاتهم في خدمة أوطانهم في كل بلدان العالم وجهل كنها أبناء المسلمين لأنهم أخذوا الرث وتركوا الجوهر الذي حثهم عليه دينهم الحنيف.

الإيمان والعمل

يقول الشيخ محمد حيدرة، إمام جامع الجمالي: إن الحديث عن القيمة التي يعطيها الإسلام للعمل التطوعي، والذي يعرف بأنه كل جهد أو مال أو امكانية يبذلها الإنسان لصالح الآخرين، دون أن يتوقع منهم مقابلا، سواء أكان هذا المقابل ماديا أم معنويا، ودون النظر حتى إلى جنس أو لغة أو حتى دين ومذهب الآخرين، نعم يشترط الإسلام قصد القربة لله سبحانه وتعالى لكي يسجل هذا العمل في رصيد المرء في الآخرة، وهذا واضح في الآية الكريمة:» ..إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا».

وردت كلمة الصالحات في القرآن الكريم أكثر من ستين مرة ، فهذه اللفظة يربط القرآن الكريم بين الإيمان والعمل الصالح، وهذا ما يجعلنا نقول أن العمل التطوعي في الشأن العام، مما يعد صالحا في الدين والعرف العقلائي عند الناس الأسوياء، هو ما يعد من كمال الإيمان وتمامه. فلا إيمان إلا بالعمل الصالح.

النجاح في العمل التطوعي

مضيفاً بأن هناك علاقة بين الإسلام والنجاح في العمل التطوعي حيث يقول: هناك علاقة بين الإسلام والنجاح الذي يجده الإنسان في العمل التطوعي في الدنيا والآخرة، لأن الناجحين في القرآن الكريم هم من يسعون لنشر الخير في المجتمع، ولا شك أن من أبرز أعمال الخير العمل التطوعي، سواء ببذل المال أو الجهد أو ما يتوفر لدى المرء من إمكانيات.

يقول تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» البقرة.

والمتابع لسيرة الناجحين الذين حققوا انجازات على مستوى البشرية كلها يجد أنهم يتميزون بالعطاء الكبير للناس دون أن ينتظروا منهم جزاء ولا شكورا.

المفهوم الخاطئ

وبخصوص العمل التطوعي نبه الشيخ علي سعيد الربيعي الخبير العالمي في تطوير المدارك العقلية والذاكرة ،في مؤسسة الوحيين، إلى عدم التشبه بالغرب وذلك بإقامة الاحتفالات التي سرعان ما تتحول إلى حفل راقص الأمر الذي يؤدي الى استياء واسع لدى المشاركين في أداء هذه الرسالة النبيلة، بدلاً من أن يكون التكريم والعمل على أهداف وبرنامج الحفل وتنفيذه ومناقشة المبادرات الطوعية التي تساهم في حل ومساعدة المشاركين أصبحت الفعالية فجأة مسرحاً للغناء والرقص.

مضيفاً استنكاره لهذه الممارسات واعتبرها خارجة عن الإطار الديني ومساهمة في نشر الفساد الأخلاقي، مؤكداً أن هذا اليوم هو يوم يحتفل به العالم لأهمية التطوع والمفترض أن يتعلم فيه المتطوعون مبادئ التطوع وأهميته على المجتمع لا أن يعلموهم أعمالاً مخالفة لأخلاقيات المسلم .

وقال الشيخ الربيعي «كان الأجدى والأفضل أن تصرف أموال الدعم التطوعي في العمل التطوعي المفيد للبلاد وليس في عمل غيره، داعياً الجهات المعنية في مكتب الأمم المتحدة لتفادي تكرارها واستغلال الدعم فيما هو مفيد للبلاد وأبناءه، ناصحاً بدوره الأمم المتحدة بأن تكون نشاطاتها محل ثقة وتقدير لتحافظ على مكانتها ومصداقيتها وتنال احترام كل الفئات كون ما جرى اليوم يتنافى مع القيم الإسلامية وأخلاقيات الشعب اليمني الملتزم.

التكافل الاجتماعي

أما الأستاذ محمد عبدالغني مصطفى من إدارة التوجيه والإرشاد، فيقول: لاشك ولا ريب بأن الإسلام دعا إلى التكافل الاجتماعي قبل ألف واربعمائة سنة ويشهد لذلك العدل والنقل ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: المؤمن للمؤمن بالبنيان أو قال كالبنان.

والتكافل الاجتماعي في الاسلام يكون إما بإخراج الزكاة الواجبة بدليل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث معاذ إلى اليمن أمره بأن يأمرهم بالزكاة تأخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم وهذا هو التكافل الاجتماعي بحد ذاته وفي الصدقة قال صلى الله عليه وآله وسلم : الصدقة برهان أي برهان على صدق صاحبها وفي الحديث لا يؤمن أحدكم حتى لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، والصدقة زيادة في الخير وليست سوى هبة لذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم الصدقة برهان، وفي حديث آخر والله لا يؤمن قالها ثلاثاً من بات شبعاناً وجاره جائع، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك ويكون التكافل الاجتماعي بالمساعدة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم ومساعدة على حمل متاع أخيك على دابته صدقة وترشد الأعمى على الطريق صدقة ويكون برفع الأذى كقوله صلى الله عليه وآله وسلم وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ويكون بالكلمة وبالبسمة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم والكلمة الطيبة صدقة وتبسمك في وجه أخيك صدقة والكلام كثير والمقام سيطول والكلام ليس محصوراً في نقطة معينة أو زاوية محددة ونختم